مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله.

أما بعد: فهذا كتاب: «**الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية**» لمعالي الشيخ عمر بن عبدالعزيز المترك المتوفى سنة ١٤٠٥هـ ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن نفدت نُسَخُه من دار النشر، في طَبْعَتِهِ الأُولى الصادرة في عام ١٤١٤هـ ولمسنا طَلَباً وإلحاحاً على إعادة نشره، نقدمه للقرَّاء في طبعته الثانية، بعد تصحيح التطبيعات حسب الإمكان.

غفر الله لمؤلفه، ونفعَ المسلمين بهذا الأَثر النفيس، آمين.

وكتب

بكر بن عبدالله أبو زيد

في مدينة النبي ﷺ

٢٨/ ٧/ ١٤١٦هـ

مقدمة الطبعة الأولىٰ
تَعْرِيفٌ بِالْكِتَابِ وَبِمُؤَلِّفِهِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ ـ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد :

فهذا كتاب يكشف الغطاء عن مجموعة مهمة من القضايا المعاصرة في: «الرِّبَا وَالمُعَامَلَات الْمَصْرِفِيَّة»: تاريخاً، وَحِكْمَةً، وأحكاماً مُقَدَّرَةً بميزان الشرع المطهر، إثْرَ تشخيص لهذه القضايا والنوازل، في نظام المصارف والتعامل التجاري العالميين، في صورها المستجدة، وَصيغ استثمارها المتنوعة، ونشاطاتها الاقتصادية المتعددة.

وَأَنَّها تُمثل «الحَبْلَ السُّرِّيَّ» لنظام الصرف العالمي، المبني على معاملات محرمة، لُحْمَتُها: «الظُّلْم»، وهدفها: «أكل أموال الناس بالباطل».

وَأَنَّها مهما تعددت وتشعبت، تأوي إلى أوعيتها الثلاثة المحرمة بنصوص الوحيين الشريفين: الرِّبَا . الغَرَر. التَّغْرِير.

وَأَنَّها تجيء في تفاصيلها القديمة والمستجدة في مثل: القمار، بيع ما ليس عند الإنسان، الفائدة، التأمين التجاري بشتى ضروبه وأشكاله، وهكذا من كل معاملة تُفْرِزُها المصارف، وَتُوَلِّدُها الأسواق المالية البعيدة عن أخلاقيات التعامل، وضوابط التعايش، وتبادل المصالح.

وَأَنَّها منهومة بمرض التنافس على: «التضخم المزمن»، وحيازة الأموال

والتهامها، وامتصاص ثروات الشعوب وانتهابها، واستلاب ما في جيوب الأفراد وابتزازها، تحت «بريق»: «نظام الصرف العالمي»، «نظام التعامل التجاري العالمي». وما حقيقة بريقها إلا «شَرَارٌ» يُحْرِقُ سُيولة الأموال في الأسواق، ويحصرها في بطون رَهْطِ المرابين الرغيبة، ويقطع سبيل: «البيع الحلال»، ويُحطِّم قوة الاكتساب للرزق المستطاب.

في هذا الجو الربوي الهادر، وحركته المصرفية، والتبادلية، يأتي هذا الكتاب يَفُلُّ جُموع المرابين في وِزْدِهم وَصُدُورِهم، وَيَرُدُّ شُبههم في صُدُورِهِم، فيجتث معاملاتهم المحرمة من جذورها، وَيَنسِف فروعها، ويكشف ما يغطون به على العقول من فلسفة فيزيفها، ويبين بَهْرَجَها، وأن المرابين يَجْرُون في تعاملهم بين «الربا» و«حيل الربا»، فهم في تقلبهم في حرب لله ولرسوله ـ ﷺ ـ فتح الله على قلوب المسلمين منهم بالتوبة النصوح.

كل هذا الكشف والبيان يقوم على تحليل علمي رصين، وتشخيص موفق دقيق، وتحرير خلاف الماضين واللاحقين، وَسَيْرٍ وراء الدليل، ومناقشة هادئة هادفة، وصياغة سهلة المباني في قيادة المعاني بِوَعْيٍ متكامل، وعقلية مرتبة، وبصيرة صافية، وَنَفْسٍ فقيه، ويراع عالم، ودعوة محتسب تحدوه نفحات إيمان لحماية أهل الإسلام من التلوث برجس المعاملات المحرمة، أو التعرض لغبارها، في سبيل البيان لجادة المسلمين، وإيضاح المحجة للسالكين: ﴿وأحل الله البيع﴾، وانتشال الأمة من نواقضها، من الوقوع في: «الربا»، والله تعالى يقول: ﴿وحرم الربا﴾، ومن التلبس بالغرر، والنبي ـ ﷺ ـ يقول: «لا تبع ما ليس عندك»، ومن التعامل بالتغرير، والنبي ـ ﷺ ـ نهى عن النجش، وتلقى الركبان، وهكذا من معاملات مُكبة على وجهها، مصروفة عن طريقها، شَدَّدَت الشريعة في النهي عنها.

والدراسات من هذا النوع، هي مطالب عالية، وأمنيات تخالط قلوب المسلمين في أجيالهم السابقة واللاحقة؛ لتكشف عن بطانة هذه المذاهب الاقتصادية الوافدة، وتنفض ما غشي أسواق المسلمين من لبوس ليست لها، وعلل تفشت فيها، وأدواء تمكنت منها، وليقيموا سوق التحذير من دعاتها، وأن يمسهم شيء من نزعاتها؛ لهذا ما أن يخرج في هذا الباب كتاب على هذا المنوال إلا وتتسابق إليه الأيدي، وتُحدق به الأبصار، وتعيه البصائر، وتلهج به الألسن، لاسيما بناة المصارف الإسلامية.

هذا الكتاب ـ بمشيئة من الله وفضل ـ سيحل منها محل الصدارة، ويتبوأ موقع الريادة.

وَإذْ أتاك نبأ الكتاب باختصار، فإليك تأتي البينة عن مؤلِّفه:

ترجمة المؤلِّف ـ رحمه الله تعالى ـ

هو العلامة، الفقيه، أبو عبد العزيز، عمر، بن عبد العزيز، بن عمر، بن عبد العزيز، بن عبد الرحمن، بن عبد الله، بن حمد، بن سلطان، بن حمد، ابن غيهب، بن محمد، بن بلدي، بن زيد، ينتهي نسبه إلى قبيلة بني زيد، القبيلة القضاعية المشهورة في حاضرة نجد، فهو: الغيهبي، اليزيدي، القضاعي، الحنبلي، الأثري.

وُلد في حدود عام ١٣٥١هـ في بلدة «شقراء» عاصمة إقليم الوَشْمِ، وسط نجد، وهي قاعدة ديار قبيلته: «بنو زيد»، وفيها عاش وترعرع بين أبوين كريمين وفي أسرة كريمة ـ آل غيهب ـ ولهم مركز مرموق بالعلم، والتجارة، ومكارم الأخلاق.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ ربعة من الرجال، متناسب الشكل، معتدل الجسم، بَهي الطلعة، كَث اللحية، وكان يصبغ إذْ عاجله الشيب في سِن مُبكر. وكان حسن الهيئة، حلو المحادثة، صمته أكثر من حديثه، عَفَّ اللسان، تعلوه سَكينة ووقار، وحِلم وتواضع، سريع الإدراك، وكان مشهوراً بين أقرانه منذ نعومة أظفاره بالهدوء والوقار، وما عرفت له صبوة ـ والحمد لله ـ وكان بعيداً في حياته عن الصَّلَف، وغشيان الأعتاب، وحب الظهور والتزيد، مجافياً لطبائع من يتمندل بهم الوجهاء، وينتعلهم الكبراء، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ حِلْسَ بيته إذَا دَقَّت الفتنُ الأبواب، وهذه محمدة لمن لا يتهيأ للمواجهة.

وَجَّهَهُ والده ـ رحمهما الله تعالى ـ إلى الدراسة في «الكُتَّاب» حتى عام ١٣٥٩هـ وفيه فُتحت أول مدرسة ابتدائية في: «شقراء» فكان من أوائل

طلابها، وأنهى دراسته فيها عام ١٣٦٤هـ واستمر في كنف والده يساعده على شؤون الحياة حتى عُين عام ١٣٦٩هـ مدرساً فيها، أي ولمّا يُكمل العشرين من عمره، ولما فتح أول معهد علمي في الرياض عام ١٣٧١هـ؛ التحق بالدراسة فيه، ثم في كلية الشريعة بالرياض، حتى تخرج منها عام ١٣٧٧هـ. وكان ترتيبه الأول، مع أنه في أثناء دراسته في كلية الشريعة كان قد عُمِّدَ في التدريس بالمعهد منذ عام ١٣٧٥هـ. ثم في عام ١٣٧٧هـ درس في الكلية قبل تخرجه، وفور التخريج عُين عضواً قضائياً في «رآسة القضاة»، وهي تُعني بتدقيق الأحكام التي تصدر من القضاة، واستمر في هذا العمل حتى عام ١٣٨٩هـ. وفي مثاني ذلك عام ١٣٨٧هـ صدرت له موافقة على التفرغ للدراسة في الأزهر بمصر، فكان أول طالب يُبتعث من قِبل رآسة القضاة إلى مصر، وأول طالب تعادل شهادته من كلية الشريعة بالرياض بشهادة كلية الشريعة بالأزهر، وكانت له بعثة دراسية أيضاً إلى أمريكا، لكن قطعها؛ لأنها ليست دار إسلام فلم يطب له المقام هناك.

وفي عام ١٣٨٩هـ: تم افتتاح «المعهد العالي للقضاء»، وكان لا يُدرس فيه إلا العلماء الأفذاذ، منهم شيوخنا: شيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وشيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، المتوفىٰ سنة ١٣٩٣هـ ـ رحمه الله تعالى ـ والشيخ عبد الرزاق عفيفي، المتوفى سنة ١٤١٤هـ ـ رحمه الله تعالى ـ والشيخ عبد الله بن محمد بن حُميد، المتوفى سنة ١٤٠٣هـ ـ رحمه الله تعالى ـ والشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين، وكان الشيخ عمر ـ رحمه الله تعالى ـ واحداً من هذه النخبة المختارة، فَقَطَعَ ابتعاثه وباشر التدريس في المعهد العالي للقضاء، بجانب عمله عضواً في رآسة القضاة.

ومازال مواصلاً دراسته في الأزهر على فترات حتى تم حصوله على:

«العالمية العالية»: «الدكتوراه» من كلية الشريعة بجامعة الأزهر عام ١٣٩٤هـ. وكان موضوع رسالته هذا الكتاب: «الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية» بإشراف العلامة الفقيه الشيخ/ بدر متولي عبد الباسط، ومناقشة الشيخ الفقيه/ محمود شوكت العدوي، عميد كلية الشريعة بالأزهر، والشيخ الأصولي/ عبد الغني محمد عبد الخالق ـ فتم منحه الدرجة في ٨/ ٧/ ١٣٩٤هـ بمرتبة الشرف الأولى، مع التوصية بطبعها على نفقة الجامعة، والتبادل مع الجامعات الأخرى.

وفي عام ١٣٩٠هـ: آلت رآسة القضاة إلى/ وزارة العدل، فانتقل عضواً إلى محكمة التمييز بمكة ـ حرسها الله تعالى ـ وبقي نحو أربعة شهور، ثم تألفت «الهيئة القضائية العليا» بوزارة العدل، فصار عضواً فيها.

وفي عام ١٣٩١هـ: رشح وكيلاً مساعداً لوزارة العدل، ثم ترقى إلى درجة/ رئيس تمييز في المجلس الأعلى للقضاء عام ١٣٩٦هـ حتى عام ١٤٠٠هـ، ثم ترقى بمرتبة وزير مستشاراً بالديوان الملكي، وبقي فيه حتى تُوفي ـ رحمه الله تعالى ـ.

هذه مراحل حياته الدراسية تسير بانتظام، وتطلعٍ إلى الترقي في مدارج الطلب.

وهذه مراحل حياته العملية تأتيه منقادة في نحو خمسة وثلاثين عاماً قضاها في التدريس، والقضاء، والإدارة.

وكان بجانب هذا له مشاركات متعددة في التدريس بالدراسات العليا في كلية الشريعة بالرياض، والمناقشة لعدد من الرسائل العلمية: «العالِمية» و«العالمية العالية» بلغت نحو أربعين رسالة.

وقد عهد إليه الملك فيصل ـ رحمه الله تعالى ـ برآسة وفد رابطة العالم

الإسلامي لمقابلة عدد من رؤساء الدول الإسلامية في آسيا.

ومازال هكذا في دأب ومثابرة حتى توفاه الله ضحوة يوم الثلاثاء الموافق ٧/ ٦/ ١٤٠٥هـ إثر نوبة قلبية عن عمر يقارب أربعة وخمسين عاماً، وَصُلي عليه بعد صلاة العصر في الجامع الكبير بالرياض بإمامة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وكانت جنازته مشهودة، وقد رثاه جمع من أقرانه وتلامذته نثراً وشعراً، فرحمه الله رحمة واسعة، وغفر ذنوبه، آمين.

طبع هذا الكتاب :

لا أعرف للشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مؤلفاً سوى هذه الأطروحة، وكانت بين يديه منذ مناقشتها حتى وفاته، يُعلق عليها، ويضيف، وقد قيل: «لاتخف إلا من صاحب الكتاب الواحد».

وكنت أُرغبه في طباعتها فكان يعد: في وقت لاحق ـ إن شاء الله تعالى ـ وهذه واحدة من طول نفسه في اتخاذ القرار، لكن قبل وفاته عزم على نشرها فحالت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ دون ذلك. ووفاء بما للشيخ علي من فضائل فقد سعيت بطباعتها؛ لتبقى أثراً علمياً ينتفع به من شاء الله من عباده، فاتصلت بأكبر أبنائه: الأستاذ عبد العزيز، فدفع إليَّ النسخة الخاصة بعناية والده ـ رحمه الله تعالى ـ معلق عليها بإضافات وزيادات مهمة، فاعتنيت بطباعتها، وإخراجها، وتصحيحها حتى تمت ـ ولله الحمد ـ على هذا الشكل الذي أرجو أن يكون مُرضياً لأهل العلم وطلابه.

وأخيراً أقول: رحم الله الشيخ عمر، وغفر له، ونفع بمؤلفه هذا، وأصلح ذريته، وجعلنا وإياهم هداة مهتدين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

بكر بن عبد الله أبو زيد

١/ ٥/ ١٤١٤هـ